ويستشهد التقرير المذكور بوثيقة عن نشاطات عصبة مناهضة الامبريالية خلال الفترة من شباط (فبراير) الى أيار (مايو) ١٩٢٧ تشير الى وجود مساع لاقامة جمعيات محلية لعصبة مناهضة الامبريالية في شرق الاردن كما في البلاد العربية المجاورة. ويورد تقرير البوليس البريطاني الفقرة التالية عن نشاط الحزب في شرق الاردن.

«من المعروف ان هناك جهوداً تبذل للتغلغل في ذلك البلد. وفي العام ١٩٢٦ بلغنا ان بين العمال الذي ارسلوا (الى شرق الاردن) من قبل شركة توريد فلسطين(P.S.C.) كان هناك ثلاثة عمال شيوعيون قاموا بتنظيم مجموعة شيوعية في الكرك تتألف منهم انفسهم ومن عربيين آخرين، وهناك اشارات تميل لاظهار ان المحرضين الفلسطينيين لهم عملاء عرب في شرق الاردن يتراسلون معهم»(٤٩).

يقول سليمان بشير، الذي درس وثائق البوليس البريطاني الخاصة بنشاط الحزب الشيوعي الفلسطيني وغيره من الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية، انه لم يعثر الا على اليسير من آثار النشاط الشيوعي في شرق الاردن في تلك الفترة. ويشير، باقتضاب، الى المعلومات التي اوردها التقرير البريطاني آنف الذكر. ويوضح بشير انه لم يصل الى تفاصيل اخرى عن طبيعة تلك المجموعات العاملة في شرق الاردن(٥٠).

لكن رغم شحة المعلومات، فانه يمكن القول ان التقارير البريطانية كانت تحذر، مبكراً جداً، من الدعاية البلشفية بين السكان. وحتى مع التحفظ على ميل اجهزة البوليس البريطاني للمبالغة في الحديث عن الدعاية البلشفية، الذي غالباً ما تنسب اليها مسؤولية تنامي النشاط المناهض للامبريالية والعداء الجماهيري للاستعمار البريطاني، فانه من الثابت ان الحزب الشيوعي الفلسطيني قام بمحاولات مبكرة لتنظيم خلايا في شرق الاردن للمساعدة على شن النضال ضد الاستعمار البريطاني.

ربما يكشف البحث في المستقبل عن معلومات اكثر شمولاً حول اتجاهات ونتائج هذا النشاط المبكر للحزب الشيوعي الفلسطيني في شرق الاردن، لكن الاستقصاء الذي تم في اطار هذا البحث قاد الى نتائج ملفته للانتباه، الا وهي ان هذه الاتصالات، من جانب الحزب، لم تقتصر على عناصر عمالية، بل شملت عناصر من الزعامات المعارضة في شرق الاردن. وربما كان الامر الاكثر دلالة، ان المعارضة الموصوفة بالتقليدية لم تبد، فقط، استعدادها للتعاون مع الحزب الشيوعي، بل يبدو ان طلب المساعدة والتعاون جاء احيانا بمبادرة منها.

فمن الوثيقة السرية، التي تنشر لاول مرة، يستفاد ان اجتماعاً قد عقد بين قادة «الحزب الوطني» المعارض وممثل عن الحزب الشيوعي الفلسطيني في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٣٢. كما يستفاد انه تم التداول في الاوضاع السائدة في شرق الاردن وسبل تطوير النضال المناهض للاستعمار البريطاني. كما وتذكر الوثيقة ـ وهي رسالة من قادة هذا الحزب الى الحزب الشيوعي الفلسطيني ـ ان المعارضة تبدي الاستعداد لتنظيم انتفاضة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني في شرق الاردن ولاقامة «حكومة شعبية»، حسب تعبير الرسالة. وتتضمن الرسالة طلباً للمساعدة بالمال والسلاح وتأكيدا على ان الحزب الوطني عازم على المضي في تنفيذ برنامجه المناهض للاستعمار بكل قواه. ولم يعرف مصير هذا التعاون ولا كيف تعامل الحزب الشيوعي في فلسطين مع طلب المساعدة هذا، لكن هذه الوثيقة تكشف جانباً مجهولاً من تاريخ الحركة الوطنية التي ظلت، غالبا، توصف بالتقليدية والاصلاحية، الا وهو استعداد قسم من زعماء القوى المعارضة